

مداخلة د. سليمة برطولي

أستاذة بقسم اللغة العربية وآدابها بالمدرسة العليا للأساتذة *بوزريعة*

دور المقاربة النصية في بلورة أنشطة اللغة العربية لتحسين الاستعمال اللغوي

(الخاص بتلاميذ السنة الرابعة من التعليم المتوسط)

تتم المدرسة الجزائرية بمواكبة مختلف التغيرات التي يشهدها العالم، لهذا عندما شعرت بضرورة الإصلاح الشامل للنظام التربوي الجزائري عملت على تجديد الكتب التعليمية ومحتوياتها، ووضعت مناهج دراسية وفق منظور بيداغوجي جديد يعتمد أساس المقاربة بالكفاءات بغية تمكين المتعلم من تحصيل المعارف بنجاعة، وذلك من خلال خلق الفرص والوضعيّات المناسبة لتوظيف المكتسبات القبليّة وتجنيد التعليمات لتنمية القدرات والمهارات وتحقيق الكفاءات المستهدفة، ذلك لأنّ تطبيق بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات يستلزم التخلّي عن مفهوم البرنامج والانتقال إلى مفهوم المنهاج، إذ إنّ الأول عبارة عن مجموعة المعلومات والمعارف التي يجب تلقينها للتلميذ خلال مدّة معيّنة من التعليم، في حين أنّ الثاني يشمل كل العمليّات التكوينيّة التي يساهم فيها التلميذ تحت إشراف المدرسة خلال مدة التعليم، أي كل المؤثرات التي من شأنها إثراء تجربة المتعلم خلال فترة معيّنة.

وهذا ما طُبّق في مجال تدريس اللغة العربية، فاستحدثت بيداغوجيا

الإدمـاج، البنائية، المشاريع، المقاربة النصية، حيث اعتمدت هذه الأخيرة أساسا لتدريس مختلف أنشطة اللغة العربية في التعليم المتوسط.

وقد أقرّ منهاج السنة الرابعة متوسط - كغيره من سنوات التعليم المتوسط - المقاربة بالكفاءات والتصور البنائي للتعلم، وأعطى أهمية كبيرة لنشاط المتعلم للوصول به إلى الاستقلالية، وتضمن تصورا جديدا لمكانة " المتعلم " الذي أصبح مركز العملية التربوية، ولمكانة " المعلم " باعتباره مسهّلا لعملية التعلم ومسؤولا على التحفيز والإثارة والتوجيه، بدلا من ترسيخ المعلومات.

وكون بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات اختيارا تربويا استدعى عدة اختيارات منهجية: كبيداغوجيا المشروع، وبيداغوجيا حل المشكلات، والمقاربة النصية، ارتأينا أن نقف عند هذه الأخيرة لنبيّن طريقة تناول النص - في كتاب السنة الرابعة متوسط - وجعله محورا تدور حوله مختلف أنشطة اللغة العربية باعتبار هذا النص بنية كبرى تعكس بقية المستويات اللغوية، ونبيّن مدى أهمية هذه الطريقة في الدراسة وفي التأثير الإيجابي في الاستعمال اللغوي (الخاص بتلاميذ هذه المرحلة من التعليم)، وذلك بمحاولة الإجابة على السؤالين الآتيين :

- هل عملت المقاربة النصية-فعلا- على بلورة أنشطة اللغة العربية في منهاج السنة الرابعة متوسط؟.

- وهل لها تأثير إيجابي في الاستعمال اللغوي (الخاص بتلاميذ هذه المرحلة من التعليم؟)

وذلك بتتبع ثلاث خطوات:

1- ضبط المفاهيم:

أ- مفهوم المقاربة النصية.

ب- مفهوم النشاط اللغوي.

2- دور المقاربة النصية في بلورة أنشطة اللغة العربية في منهاج السنة الرابعة متوسط.

3- دور المقاربة النصية في تحسين الاستعمال اللغوي (الخاص بتلاميذ السنة الرابعة متوسط)

1- ضبط المفاهيم:

1-1- المقاربة النصية:

1-1-1- المقاربة: لغة من قُرب، قُرباً بضمّ القاف أي دنا، قارب الأمر، بمعنى ترك الغلو، وقصد السداد والصدق فيه. (1)

- اصطلاحاً: هي أسلوب تصوّر ودراسة موضوع، أو تناول مشروع، أو حل مشكلة، أو تحقيق غاية. وتعتبر من الناحية التعليمية قاعدة نظرية تتضمن مجموعة من المبادئ التي يستند إليها بناء منهاج تعليمي، وهي منطلق لتحديد الاستراتيجيات والطرق والتقنيات والأساليب الضرورية. (2)

1-1-2- النص لغة: نصّ الشيء: رفعه، ونصّ كلّ شيء منتهاه. (3)

- اصطلاحاً: يحدّد "تودوروف" النص في فقرة واحدة من ذلك النمط الذي تكونه مجموعة من الجمل، فالنص يمكن أن يكون جملة أو ما لانهائية من الجمل متميزة بعدة خصوصيات: فعلية، تركيبية، دلالية، إبلاغية... خاضع لعدة أنظمة: زمانية، مكانية، منطقية، مما يجعل ماهيته تكتسي صعوبات معيّنة. (4)

1-1-3- المقاربة النصية: وجمع اللفظين السابقين "المقاربة النصية" يتضح أنها تعني التقرب من النص والتعاطي معه بصدق. وهي الطرق المختلفة التي يتم على أساسها تحليل النص بيداعوجيا لأجل أغراض تعلّمية.

1-2- أنشطة اللغة العربية:

1-2-1- النشاط لغة: نشط الرجل (بالكسر) نشاطا (بالفتح) فهو نشيط. وقوله تعالى: { والناشطات نشطا } (سورة النازعات، الآية:2)، يعني النجوم تنشط من برج إلى برج كالثور. (5)

- اصطلاحا: النشاط هو نمط من أنماط السلوك التربوي، يمارسه التلميذ بتوجيه من المربين بما يساعده على زيادة معارفه وتنمية خبراته وتحقيق نموه نمواً متكاملًا. (6)

فالنشاط اللغوي هو ألوان متنوعة من الممارسة التطبيقية لمهارات اللغة العربية، يقوم بها التلميذ داخل القسم أو خارجه في مواقف طبيعية تتطلب استماعاً أو كلاماً أو قراءة أو كتابة، وذلك برغبته وتحت رعاية معلميه. (7)

1-2-2- أنشطة اللغة العربية: وتتمثل هذه الأنشطة في السنة الرابعة من التعليم

المتوسط في: نشاط القراءة - نشاط التعبير الشفهي - نشاط التعبير الكتابي.

2 - دور المقاربة النصية في بلورة أنشطة اللغة العربية:

إن مبدأ المقاربة النصية يعني اتخاذ النص محورا لكلّ التعلّيمات، حيث تدور حوله جميع الأنشطة (قراءة، مطالعة، تعبير)، وتتمّ من خلاله دراسة الظواهر النحوية والصرفية والإملائية، والمبادئ الأدبية والعروضية والبلاغية، وتنمية الذوق الأدبي حسب ما يملّيه المنهاج والتوزيع الأسبوعي والشهري. فتُعتمد المقاربة النصية منطلقاً لتحقيق مختلف الأهداف التعليمية، ومعنى ذلك أن النص ينبغي أن يكون - في الكتاب المدرسي للسنة الرابعة متوسط - مركزاً لنشاطاته التعليمية المتعددة، ووسيلة لبلورتها، وأداة لإنجازها. فهل تحقّق ذلك ؟

لقد اتّبع الكتاب نظام الوحدات التعليمية التي بلغ عددها أربعاً وعشرين وحدة، تتضمن كل وحدة: نشاط القراءة، ونشاط التعبير بنوعيه الشفهي والكتابي، وتنجز كل وحدة في حجم

ساعي يقدر بخمس ساعات في الأسبوع، تبدأ بنشاط القراءة وما يتبعه من دراسة فكرية ومعجمية ولغوية وأدبية في ثلاث ساعات، ثم نشاط التعبير الشفهي في ساعة، فنشاط التعبير الكتابي في ساعة. هذا إلى جانب سبعة مشاريع ينجز كل مشروع منها بعد كل ثلاث وحدات تعليمية، ماعدا المشروع الأخير الذي قد يستغرق ستة أسابيع نظرا لطبيعته.

— وملخص هذه الأنشطة كالاتي :

الكتاب يتضمّن:		24 وحدة		+	7 مشاريع		
		الوحدة		+	المشروع		
						3 أنشطة	
قراءة	+	تعبير	+	تعبير	إدماج للمعارف ودراسة		
نص		شفهي		كتابي	والتعلّيمات السابقة		
3 ساعات		ساعة		ساعة	بعد كل 3 وحدات		

1- دراسة فكرية وفنية (ساعة)

2- دراسة لغوية (ساعة)

3- تطبيقات متنوعة (ساعة)

ويتم تقديم أنشطة اللغة العربية بالشكل الآتي:

أ- نشاط القراءة: يحتل نشاط القراءة الصدارة بين الأنشطة الأخرى باعتباره منطلقا لها وذلك في إطار المقاربة النصية المعتمدة في تعليمية اللغة العربية. وتتمّ القراءة بنص واحد في الأسبوع، ويكون محورا لباقي فروع اللغة (إملاء، قواعد نحو وصرف، ظواهر بلاغية

وعروضية...)، ويتم هذا النشاط في ثلاث ساعات، أي يقدم في ثلاث حصص:

- حصة: قراءة ودراسة نص.
- حصة: دراسة ظاهرة لغوية .
- حصة: تطبيقات تقييمية.
- الحصة الأولى: تخصص لدراسة البناء الفكري والفني للنص من خلال:
 - التمهيد للموضوع عن طريق إلقاء أسئلة على المتعلمين لإثارة نشاطهم الفكري، وتشويقهم للاطلاع على مضمون النص.
 - قراءة النص قراءة صامتة تأملية.
 - طرح أسئلة متعلقة بالفهم العام للنص واستخلاص فكرته العامة.
 - قراءة الأستاذ للنص قراءة جهرية معبرة.
 - تكليف المتعلمين بتقسيم النص إلى وحدات فكرية.
 - تكليف المتعلمين بممارسة فنيات القراءة الجهرية وعدم التدخل لتصحيح الأخطاء إلا إذا عجز القارئ وزملاؤه عن ذلك .
 - تحليل مضمون النص ومناقشته فقرة فقرة، وشرح كلماته الصعبة، واستخلاص أفكاره الجزئية.
 - إعادة صياغة النص واستخلاص المغزى منه (وبالتالي انتهاء دراسة البناء الفكري للنص).
 - الانتقال إلى دراسة البناء الفني للنص، وذلك من خلال جعل التلميذ يتذوق جمال النص، ويكتشف الأساليب الفنية الموجودة فيه.
- الحصة الثانية: تخصص للبناء اللغوي، وتكون بالعودة إلى النص المقروء لاستخراج أمثلة الظاهرة اللغوية، وفي هذه الحصة يشرع الأستاذ في توجيه المتعلم لاكتشاف الظاهرة المقصودة ودراسة حثيثا للوصول إلى استنتاج جزئي، فكلّي، فتطبيقات متعاقبة يراعى فيها التدرج والتنوع.

وبما أن الكتاب يعمل بالمقاربة النصية ويستمدّ النموذج من محيطه الطبيعي (أي النص)، ويسلّط عليه الضوء بغية استنباط القاعدة منه، ونظرا إلى أن النص - مهما كان - لا يمكنه أن يتوافر على أمثلة تحيط بالقاعدة النحوية، يستعين الكتاب بنماذج مستقلة ويعمل على المزاوجة بين نص القراءة والجمل المختارة لتغطية مختلف جوانب القاعدة النحوية.

- **الحصة الثالثة:** تخصّص للأعمال التطبيقية التي تعالج اللغة من حيث: النحو والصرف، الإملاء والمفردات، المبادئ الأدبية الأولية. فهي حصة إدماجية يتم فيها التدريب لترسيخ المكتسبات السابقة، وهي عملية أساسية تعقب ما قدّم من محتوى لغوي، وتهدف إلى تثبيت ما اكتسبه المتعلّم من جهة، وإلى جعل المتعلّم يمارس المهارات اللغوية المدروسة ويوظّفها توظيفا مناسباً من جهة أخرى.

ب- نشاط التعبير الشفهي: يخصّص له ساعة واحدة أسبوعيا. وينطلق التعبير الشفهي من نشاط المطالعة الموجهة الذي يقوم به المتعلّم في البيت بناء على توجيهات الأستاذ وتعليماته، ويستفيد من نشاط القراءة أيضا. وهو حقل تطبيقي للكثير من المهارات، ومقدمة للتعبير الكتابي وخادم له.

ج- نشاط التعبير الكتابي: يخصّص له ساعة واحدة أسبوعيا. ويمثّل نشاط إدماج هام للمعارف اللغوية المختلفة، ومؤثرا دالا على مدى قدرة المتعلّم على تحويل هذه المعارف بتوظيفها في وضعيات جديدة، ولهذا ترك هذا النشاط للأخير حتى يستفيد من بقية أنشطة اللغة العربية (قراءة، مطالعة، تعبير شفهي) التي تثري فكر التلميذ وتزوّده بثروة لغوية، ومعارف نحوية وصرفية وبلاغية. تسمح له بانتقاء العبارات والأساليب لتحقيق الكفاءة المستهدفة.

كما تتمّ في حصة التعبير الكتابي متابعة المشروع الذي يُكلّف التلميذ بإنجازه بعد كل ثلاث وحدات تعليمية، وهذا النشاط يدرج في إطار النظرة البنائية للتعلم التي تجعل

المتعلّم يمارس ما تعلّمه ولا يكدّس معارفه.

إذن اعتماد المقاربة النصّية في تعليمية اللغة العربية يؤدي إلى بلورة أنشطة اللغة العربية في نشاط واحد متكامل يركّز على النص (السند التربوي) وينطلق منه، فتكون مادته الأدبية محورا لمختلف المناقشات اللغوية والنحوية والبلاغية والإملائية، فضلا عن كونها مادة للقراءة والتعبير والنقد والتذوق الأدبي.

لكن تجدر الإشارة إلى أنّ هذا التكامل والتبلور الذي من المفروض أن يجمع أنشطة اللغة العربية الخاصة بالسنة الرابعة من التعليم المتوسط، لا يتحقق في جميع أنشطة الوحدات المقرّرة في المنهاج. وهذا ما سيّضح من خلال تعليقنا على الوحدات المختارة في الجدول الآتي:

الوحدة	قراءة	مطالعة	تعبير كتابي	المشاريع
2- قضايا اجتماعية	المدنية الحديثة	الناشئ الصغير للمنفلوطي	تلخيص نص	
3- حقوق الإنسان	لا تقهروا الأطفال-شعر-	معركة بعد أخرى	تقليص نص	كتابة عريضة تدعو إلى الكف عن استغلال الأطفال
6- شخصيات موهوبة	الفنان محمد تمام	مزار الموهبة النادرة	الوصف	تأليف ألبوم عن شخصيات معروفة
12- الشباب والمستقبل	الشباب	ملامح ثورة جديدة	كتابة خاطرة	إعداد تحقيق صحفي
21- دور الإعلام في المجتمع	الدور الحضاري للانترنت	الصحافة العربية في عصر الفضائيات	كتابة مقال صحفي	
23- اهجرة	الهجرة النبوية	هجرة الأدمغة	الخطبة	
24- الصناعة التقليدية	الفخاري الصبور	الأب النشيط	كتابة خطبة	إعداد جريدة

- التعليق على الجدول: الجدول يتضمن سبع وحدات مختارة من كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم المتوسط، والنظر إلى أنشطة هذه الوحدات يبين:

1- أن الوحدة رقم (2) تحمل عنوان (قضايا اجتماعية) - وهو موضوع عام جدا- إذا نظرنا إلى موضوعي القراءة والمطالعة، نجد أن النص الثاني لا علاقة له بالأول، فنص " المدنية الحديثة " يتحدث عن العلم والأخلاق وأهميتهما في حياة الأمم، أما نص "الناشئ الصغير" فيتحدث عن كيفية تنشئة الطفل معتمدا على نفسه...

2- أن في الوحدة رقم (3)، موضوع التعبير الكتابي مرتبط بنص المطالعة، كما أن نص القراءة لا يحتوي على أي مثال لدراسة الظاهرة اللغوية المدرجة معه في الوحدة نفسها.

3- أن الوحدة رقم (6) تحمل عنوان (شخصيات موهوبة)، وموضوع التعبير الكتابي (الوصف)، لا يناسب التعريف بالشخصيات الموهوبة أو العظيمة...

4- أن الوحدة رقم (12) تحمل عنوان (الشباب والمستقبل)، ولا توجد علاقة بين موضوع التعبير الكتابي (كتابة خاطرة) وبين نصي (القراءة والمطالعة).

5- أن الوحدة رقم (23) تحمل عنوان (الهجرة)، والنص المقدم للتعبير الكتابي لا يتناسب مضمونه - في نموذج الكتاب المدرسي - مع موضوع الوحدة.

6- أن الوحدة رقم (24) تحمل عنوان (الصناعة التقليدية)، وموضوع المشروع المقترح (إعداد جريدة) لا يتناسب معه، ومكانه الأنسب هو الوحدة رقم (21)، التي تحمل عنوان (دور الإعلام في المجتمع).

- التعليق العام على دور المقاربة النصية في بلورة أنشطة اللغة العربية في كتاب السنة الرابعة من التعليم المتوسط:

- لقد تجسدت المقاربة النصية من خلال التعرض للبناء الفني لمختلف نصوص القراءة ودراسة النص، فكان نص القراءة منطلقا لتفصيل الدرس البلاغي أو العروضي، من خلال أمثلة

مستقاة من هذا النص، أٌخذت نقطة بداية لشرح وتفصيل الظاهرة الفنية.

- في حين لم يهتم الكتاب بمسألة الانسجام بين نص القراءة ودراسة الظاهرة اللغوية، حيث نلمس خلو بعض نصوص القراءة خلوا تاما من مثال يجسد الظاهرة اللغوية المدروسة، كما هو الحال في الوحدة رقم (3) إذ إن النص الشعري " لا تقهروا الأطفال" أدرج معه درس " تقدم المفعول به " والنص لا يحتوي على أية جملة تقدم فيها المفعول به، وفي محاولة ربط درس النحو بنص القراءة، تم استخراج أمثلة من هذا الأخير (جاء فيها المفعول به غير مقدم، أي ورد بعد الفعل والفاعل) وتم التعليق بالـ **كلام الآتي**: " لقد مرّ بك أن المفعول به عادة ما يأتي متأخرا عن الفعل والفاعل وهذا ما تلاحظه في مواضع كثيرة من القصيدة السابقة مثل: لا تقهروا الأطفال - لا تطفئوا البريق- وتسلبوا البسمة ". ثم تم عرض أمثلة لا علاقة لها بموضوع نص القراءة مثل: من قابلت؟ المفعول به (من)، إياك نعبد: المفعول به (إياك)...

فما أهمية اختيار نص يفتقد لأمثلة الظاهرة اللغوية؟ وأين تجسيد المقاربة النصية إذا كان الدرس النحوي يركز على أمثلة لا علاقة لها بنص القراءة ؟

- وبما أن منهاج اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم المتوسط قد تبنّى تطبيق المقاربة النصية، فإنه كان ينبغي الانطلاق من نص القراءة لتبلور بقية أنشطة اللغة العربية حول هذا الأخير كونه نصا محوريا لمختلف جوانب الدراسة، وهذا ما لم يتجسد في كثير من حصص التعبير الكتابي التي انطلقت من نص المطالعة الموجهة (نص التعبير الشفهي)، كما هو الحال في الوحدة التعليمية الثالثة " حقوق الإنسان " التي موضوع تعبيرها الكتابي " تقليص نص "، حيث قدم الكتاب نموذجا قام فيه بتقليص نص المطالعة بغية تمكين المتعلم من المقارنة بين النصين واكتشاف هذه التقنية في الكتابة. وهذا لا يتماشى والمقاربة النصية المعتمدة في تعليمية مختلف أنشطة اللغة العربية لهذه المرحلة من التعليم.

والأمر ذاته في وحدات أخرى أين كان موضوع التعبير الكتابي بعيدا عن موضوع نص

القراءة تماما (كما في الوحدة رقم 17، نص القراءة في باب الأساطير وموضوع التعبير الكتابي حول القصة...). وبالتالي ما جدوى جمع نص القراءة وتقنية معينة من تقنيات التعبير الكتابي في وحدة تعليمية واحدة طالما أن هذا النص لا يخدم موضوع هذا النشاط؟

- ثم إن ارتباط حصص التعبير الكتابي بالمشروع البيداغوجي دلالة على أهمية العلاقة بين النشاطين كونهما يمثلان فرصة لإدماج مختلف المعارف المكتسبة في بقية فروع اللغة، وعليه فإن انسجامهما وبقية أنشطة الوحدة التعليمية له أهمية كبيرة، وهذا ما يفتقد في كثير من الوحدات أين يسجل غيابا تاما لهذا الانسجام كما في الوحدة رقم 12 "الشباب والمستقبل" حيث كان موضوع التعبير "كتابة خاطرة" والمشروع البيداغوجي "حلول" إعداد تحقيق صحفي "...؟

وعليه فإن مفهوم الوحدة التعليمية ينبغي أن يعكس الانسجام بين مختلف أنشطة هذه الأخيرة - وهذا مفقود بصورة ملموسة في كثير من الوحدات التعليمية كما رأينا. وإن تطبيق المقاربة النصية يستلزم الاهتمام أكثر بنص القراءة (محور مختلف الأنشطة اللغوية) وذلك من خلال بذل المزيد من الجهد لتوفير النص الأنسب الذي يتلاءم والدراسة البلاغية والنحوية... ويرتكز عليه في نشاطي التعبير الشفهي والكتابي.

3- دور المقاربة النصية في تحسين الاستعمال اللغوي:

إن التدريس وفق المقاربة النصية يجسّد لدى المتعلّم النظرة الشمولية للغة في حركة تكاملية لا تراكمية، بحيث تبدو تلك الصلة المتواصلة بين مختلف أنشطة اللغة العربية في خدمة كفاءة المتعلّم واكتسابه جملة من المهارات التي يمارسها في تواصله المنطوق والمكتوب في حياته المدرسية أو غير المدرسية.

فأسس المقاربة النصية تنطلق من تكامل مهارات اللغة التي تدرج تحت كل فن من فنونها الأربعة: الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة، وبذلك يمكن اتخاذ النص وحدة واحدة لتدريب المتعلّم على القراءة والإملاء والقواعد، ومن ثم لا يمكن لمتعلّم اللغة

إهمال فن من فنونها، أو فرع من فروعها، أو مهارة من مهاراتها " فالوحدة اللغوية بالنسبة للمتعلّمين وحدة متألّفة العناصر، متكاملة الأجزاء، وتحقق في نهاية المطاف هدفا لغويا واحدا يدفع السأم والملل عن نفوسهم في أثناء الدرس، ويسهم بالنتيجة في تحبيب اللغة إليهم، وإتقان مهاراتها "(8) لأن تكرار هذا النص المدروس في كل أنشطة اللغة العربية (نشاط القراءة، والتعبير، والقواعد، والبلاغة، والإملاء)، يساعد التلميذ على الفهم، ويساهم في تثبيت المعلومات في ذهنه.

لهذا ينبغي أن تكون كل حصة من حصص أنشطة اللغة العربية امتدادا لسابقتها، على شكل نشاط واحد متنوّع ومتكامل، لا عبارة عن حصص تنطلق في الظاهر فقط من النص (السند التربوي) ثم تستقل تماما، أو لا تنطلق منه أصلا. لأن تدريس اللغة العربية في إطار وحدات تعليمية تتبلور فيها مختلف فروع هذه اللغة وأنشطتها له انعكاس ايجابي كبير يسهّل على المتعلم فهم النظام اللغوي من جهة، ويسهّل عليه اكتساب الملكة اللغوية وتحسين استعماله اللغوي من جهة أخرى.

وحتى يكون للتدريس وفق المقاربة النصية الأثر الإيجابي الأكبر في الاستعمال اللغوي لتلاميذ السنة الرابعة من التعليم المتوسط، ارتأينا تقديم مجموعة ملاحظات تخدم هذا الجانب:

1- جاءت نصوص القراءة والمطالعة متنوعة في موضوعاتها وألوانها الأدبية، إلا أن غياب النص القرآني يطرح علامة استفهام كبيرة، كيف لا وهو سند أساسي كان من المفروض أن يتصدّر قائمة عناوين المنهاج لأهميته في إبراز الناحية الفنية والجمالية... من جهة، ولما له من تأثير إيجابي كبير في الاستعمال اللغوي المنطوق والمكتوب من جهة أخرى.

2- كما أنّ انتقاء النصوص المختلفة (في القراءة والمطالعة) مهم جدا، لأن المقاربة الجديدة تتطلّب تعليم اللغة العربية في سياقها الطبيعي (النص)، والاعتماد على نصوص المحلات أو الانترنت، لا يكفي لتحقيق الكفاءة اللغوية المرجوة، لهذا يستحسن بذل الجهد أكثر لتوفير النصوص المناسبة، وذلك بالاعتماد على الإبداع الأدبي الخاص بكبار

الأدباء الذين نطمح أن يكونوا قدوة لتلاميذنا، فيعتادوا على تذوق أدبهم، والنسج على منواله في مختلف أنشطتهم، منذ هذه المرحلة من التعليم.

3- فقد ورد في المنهاج أن نصوص القراءة المقررة للسنة الرابعة من التعليم المتوسط تشتمل على نصوص تواصلية وأخرى أدبية (باعتبار أن النصوص التواصلية تعالج كل ما له علاقة بدائرة اهتمام المتعلم وترتبط بواقعه المعيش، وهذا يجعله يتفاعل معها ويستثمرها في التواصل، أما النصوص الأدبية فمن شأنها إغناء الحس الجمالي عند المتعلم)، وكون نص القراءة هو النص المحوري الذي تدور حوله مختلف أنشطة اللغة العربية وفقا لمفهوم المقاربة النصية، فكيف يعتمد النص التواصلية كمنطلق لتعليمية النحو والصرف والبلاغة...؟

أليس من الأجدر أن تكون جميع نصوص القراءة نصوصا أدبية لمناسبة هذه الأخيرة أكثر لتدريس النحو والبلاغة والعروض...؟

ثم أليست النصوص الأدبية النموذج الأرقى الذي ينبغي توطيد صلة التلميذ به حتى يعتاد على هذه النوعية من النصوص التي نطمح أن يتأثر بها فينعكس هذا التأثير في استعماله اللغوي مشافهة وكتابة...؟

4- كما أن نصوص المطالعة قصيرة، ويستحسن أن تكون أطول مما هي عليه، لأن التلميذ ينصح بقراءتها في البيت، وكلما كان النص طويلا، كلما تزود التلميذ بثروة لغوية أكبر تسمح له بالمناقشة أكثر في نشاط التعبير الشفهي، وبالتوظيف اللغوي أكثر في التعبير الكتابي. (مع الحرص على أن تكون هذه النصوص في خدمة مواضيع نصوص القراءة التي ينبغي الانطلاق منها دوما في مختلف الأنشطة اللغوية).

5- وكون النص (السند التربوي) الذي يتخذ منطلقا لاستخراج أمثلة درس القواعد لا يحيط - في معظم الأحوال - بمختلف جوانب القاعدة النحوية، يستحسن أن يجتهد الأستاذ في إحضار نصوص أخرى (وجيزة وفي متناول التلاميذ) تدعم النص

التربوي، وقرأها على مسامع التلاميذ، ويشجعهم على اكتشاف الأمثلة التي تخدم الظاهرة اللغوية المقصودة بالدراسة، لأن تفاعل التلميذ مع النص: قراءته، استخراج أمثلة الظاهرة اللغوية، استخراج أمثلة نصوص الأستاذ للإحاطة بجوانب الظاهرة اللغوية...، يرسخ المعلومات في ذهنه بصورة سريعة. فالهدف من تدريس القواعد لم يعد غاية مقصودة لذاتها، بل أصبح وسيلة لتقويم لسان التلميذ وصون أسلوبه من اللحن والخطأ.

6- ومن الضروري أن يحسن الأستاذ استغلال حصة التعبير الشفهي لفسح أكبر مساحة زمنية للتلميذ حتى يسترسل في النقاش والعرض بلغة عربية فصيحة، لأن الاسترسال في الحديث يكشف عن الكثير من عيوب الاستعمال اللغوي التي يمكن إشعار التلميذ بها حتى يستدركها - لاحقاً، وبالتدريج - فيعالجها.

مع الابتعاد عن تخصيص الحصة لمجرد المطالعة كما يفعل بعض الأساتذة، أو لمجرد الإجابة عن بعض الأسئلة الخاصة بنص المطالعة من خلال تقديم جمل مفككة، لأن هذا الأسلوب قليل النفع بالنسبة للاستعمال اللغوي.

7- كما أن العلاقة الوطيدة بين نصي القراءة والمطالعة ضرورية في هذا الإطار، ومعها ضرورة ربط موضوعي التعبير الشفهي والكتابي بنصي القراءة والمطالعة، حتى يسهل على التلميذ استقاء الأفكار، فيوجه اهتمامه الأكبر لجانب السلامة اللغوية (أو المبني السليم الذي يسكب فيه هذه الأفكار).

8- وكون التعبير الكتابي يترك للأخير لتختتم به أنشطة الوحدة اللغوية الواحدة، فيستفيد الطالب من توظيف ما تعلمه في مختلف الأنشطة اللغوية السابقة، يستحسن عند تصحيحه أن يقرأ التلميذ ما كتبه على مسامع زملائه، وأن تتاح لهؤلاء فرصة إبداء الرأي وإبراز النقائص قبل أن تأتي ملاحظات الأستاذ وتصويباته في الختام، حتى يستفيد التلاميذ من مواضيع بعضهم، ومن أخطاء بعضهم البعض.

9- ثم إن تحديد الكفاءة الختامية المستهدف تحقيقها في ختام السنة الرابعة من التعليم المتوسط في (أن يكون المتعلم قادرا على إنتاج كل أنماط النصوص: إخبارية، وصفية، سردية، حوارية، حجاجية)، يستلزم أن نظيف لها جملة: (بلغة عربية سليمة)، حتى نجتمع بين سلامة المبنى والمعنى بالنسبة لما ينتجه التلميذ في مجال تعلمه أنشطة اللغة العربية، لأن سلامة الاستعمال اللغوي مهمة في أية مرحلة من مراحل التعلم، والحرص على تنبيه التلميذ لهذا الأمر منذ المراحل الأولى لتعلمه، يساهم في نجاحه فيه، وبالتالي يصل إلى استعمال لغوي سليم-شفهيا وكتابيا- في وقت مبكر.

الهوامش:

- ¹ - المنجد في اللغة، ط40، دار المشرق، بيروت 2003م (ص617)
- ² - بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات، طيب نايت سليمان وآخرون، ط1، دار الأمل، الجزائر 2004م (ص20)
- ³ - المنجد في اللغة (ص811)
- ⁴ - لسانيات التلّف وتداولية الخطاب، ذهبية حمر الحاج، منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل، الجزائر 2005م ص. 141
- ⁵ - مختار الصحاح، الرازي، ط1، دار الكتاب الحديث، الكويت 1994م ص. 282
- ⁶ - الأساس في الأنشطة التربوية، محمد إسماعيل الجاويش، مؤسسة حورس الدولية، عمان 2007م ص. 18
- ⁷ - الاتجاهات التربوية المعاصرة في تدريس اللغة العربية، د.محمد رجب فضل الله، ط2، عالم الكتب، القاهرة 1423هـ - 2003م ص. 236
- ⁸ - اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية، طه علي حسين الدليمي، سعاد عبد الكريم الوائلي، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن 2005م ص. 118

السندات التربوية:

- اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم المتوسط، وزارة التربية الوطنية.
- مناهج السنة 4 من التعليم المتوسط، وزارة التربية الوطنية، مديريةية التعليم الأساسي، اللجنة الوطنية للمناهج، جويلية 2005م.
- الوثيقة المرافقة لمناهج السنة 4 من التعليم المتوسط، وزارة التربية الوطنية، مديريةية التعليم الأساسي، اللجنة الوطنية للمناهج، جويلية 2005م.
- دليل الأستاذ، اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم المتوسط، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية.